

## الأدلة الشرعية في إبطال اعتقاد الملاحدة بالأزلية

## The Legal Evidences to invalidate the Belief of Atheists in Eternity

د. خالد فلاح العازمي

جامعة الكويت، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية (الكويت)

khaledalazmi90@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/07/15

تاريخ القبول: 2024/04/25

تاريخ الاستلام: 2024/03/23

## ملخص:

يتناول هذا البحث اعتقاد الأزلية الذي يقول به الملاحدة على مر العصور، وإبطال هذا القول عن طريق الأدلة الشرعية التي تقرر أن الله سبحانه وتعالى هو الأول الذي لا شيء قبله وأنه الخالق لجميع هذه الكائنات، وتبين كيفية خلق هذا الكون وبدايته، وقد جاء العلم الحديث بما يثبت صحة ما في تلك الأدلة، كما أن العقول السليمة لا تعارضها.

**الكلمات المفتاحية:** الملاحدة؛ الأزلية؛ الأدلة الشرعية.

**Abstract :**

This research discusses the belief of eternity that atheists adopt throughout the ages, and the invalidation of this saying through the legal evidences that state that Allah the Almighty -Glory be to Him- is the First that there is nothing before Him and that He is the Creator of all these beings. It shows how this universe was created and its beginning. The modern science has proven the validity of what is in those evidences, besides sound minds do not oppose it.

**Keywords:** Atheists; Eternity; The Legal Evidences.

بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن المذهب الإلحادي من أقدم وأخطر المذاهب الفكرية الهدامة التي حاربت الأديان وأفسدت الأخلاق، ولا يزال لهذا المذهب أتباع في مختلف أنحاء العالم ينشرون الدعايات لهم في الوسائل المختلفة لاسيما في مواقع التواصل، وللأسف كان لهم تأثير على بعض المسلمين، وإن من أهم الركائز التي يقوم عليها المذهب الإلحادي ادعاء أزلية هذا الكون وما فيه من مادة للتوصل لإنكار الخالق لهذه الكائنات، وقد رد على هذا القول الباطل العديد من أفاضل أهل العلم، وكان يغلب على هذه الردود التركيز على مخاطبة الملحدين أنفسهم عن طريق ما توصل إليه العلم الحديث ودل عليه العقل السليم، ولقد وجدت في بعض الردود قلة العناية بإبطال هذا المذهب عن طريق الأدلة الشرعية الكتاب والسنة مع عدم استهداف عامة المسلمين والحرص على تقوية إيمانهم بتوحيد الربوبية عن طريق ربطهم بالنصوص، ولذلك عزمت على تناول الموضوع في هذا البحث بعنوان الأدلة الشرعية في إبطال اعتقاد الملاحدة بالأزلية، فأسأل الله سبحانه الإعانة والتسديد كما أسأله عز وجل أن يتقبل مني ويتجاوز عني.

### إشكالية البحث:

يعالج البحث مزاعم الملاحدة بأزلية هذا الكون والمادة التي فيه، والتي يقومون بالترويج لها عند المسلمين لا سيما بين صغار السن في شتى الوسائل المعاصرة، ويجيب عن الأسئلة حول الموضوع مثل، ما معنى أزلية الكون؟ وما غاية الملاحدة من نشر على القول؟ وما هو الصحيح في نشأة هذا الكون وبماذا أخبرنا الشرع عن ذلك؟ وهل العلم الحديث والعقل السليم يتوافق مع ما جاء بالنصوص أو يميل إلى مزاعم الملحدين؟

## الدراسات السابقة:

لم أفق بعد البحث وسؤال المختصين على دراسة تبطل القول بالأزلية عن طريق الأدلة الشرعية، وهناك بعض الدراسات التي ركزت على الأبحاث العلمية الحديثة أو البراهين العقلية والفطرية التي تنتقد القول بالأزلية، لكن للأسف لم تعتن بالتركيز على الأدلة الشرعية التي فيها ما يوافق العلم الحديث والعقل السليم.

ما يضيفه البحث: يوضح البحث كمال الشريعة الإسلامية وكفاية الكتاب والسنة في رد جميع الشبه المعاصرة حول العقيدة، مع ربط المسلمين بنصوص الكتاب والسنة وحثهم على العناية بها، مع إمكانية مواجهة الملحدين وإبطال مزاعمهم بالدليل الشرعي.

## منهج البحث:

التمهيد: اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي وذلك عن طريق استقراء الأدلة الشرعية وتتبعها مع تحليلها واستنباط ما يبطل القول بالأزلية منها.

## خطة البحث:

يتكون البحث من تمهيد وستة مطالب على النحو التالي:

التمهيد: التعريف بالملاحدة والأزلية.

المطلب الأول: أنواع الأزلية.

المطلب الثاني: الأقوال في الأزلية.

المطلب الثالث: الأدلة الشرعية لأزلية الخالق.

المطلب الرابع: الأدلة الشرعية لخلق جميع الكائنات.

المطلب الخامس: الأدلة الشرعية لبداية خلق الكون.

المطلب السادس: الأدلة الشرعية الموافقة للعلم الحديث.

المطلب السابع: الأدلة الشرعية الموافقة للعقل السليم.

## التمهيد: التعريف بالملاحدة والأزليّة

من المعلوم أن جميع رسالات الأنبياء عليهم السلام دعت إلى الاعتقاد بربوبية الله سبحانه وتعالى وخلقه للعالمين، وهذه العقيدة ممّا أجمعت عليه الأمم قاطبة على مر العصور واتفق عليها عليه أصحاب الملة الحنيفيّة<sup>(1)</sup>، ومع تقرر هذه العقيدة في نفوس أغلب البشر إلا أن أهل الإلحاد ينكرون ذلك، والإلحاد هو الميل عن الحق<sup>(2)</sup>، وأمّا الأزليّة فهي القدم<sup>(3)</sup>، والملاحدة هم المنكرون للخالق القائلين بأزليّة الكون، ومعنى الإلحاد المصطلح عليه في هذا العصر هو إنكار وجود الله والقول بأن هذا الكون وجد بلا خالق وأن المادّة أزليّة أبدية<sup>(4)</sup>، فالملاحدة اليوم يقولون بأزليّة هذا الكون ومعنى الأزليّة أنّه لا بداية له وأنّه وجد بلا خالق، وهذا القول معروف عند أهل الإلحاد منذ نشأتهم ومن أولئك الملاحدة الدهرية القائلين بقدم العالم<sup>(5)</sup>.

ولا يزال الملاحدة المعاصرون بمختلف طبقاتهم من اللادينيين والمتشكّكين والعلمانيّين يتبنّون هذا القول ويجعلون ذلك من أبجديات ومفاهيم الإلحاد المعاصر والتي منها أنّ الكون نشأ تلقائياً دون الحاجة لصانع وأن الحياة ظهرت من المادّة عن طريق قوانين الطّبيعة وأن الفرق بين الحياة والموت هو فرق فيزيائيّ بحث<sup>(6)</sup>، وصار القول بأزليّة الكون والمادّة المكوّنة للطّاقة التي فيه هو عمدة الملاحدة الوقت المعاصر فهم يقولون بأن المادّة أزليّة لا تستحدث ولا تفتى، وكانوا يعتقدون أن هذا شيء أثبتّه العلم فلا مجال للخلاف فيه<sup>(7)</sup>.

ومع تقدّم العلم في الوقت الحاضر وكثرة البراهين العلميّة والعقليّة لكن يوجد من يروج لهذا القول الذي ثبت بطلانه بالتّجارب العلميّة الحديثة مع عدم قبول العقول السليمة والفطر القويمة له، ونحن معشر المسلمين عندنا من الأدلّة الشرعية الكثيرة الموافقة للعقل الصحيح والعلوم الحديث سواء ما جاء في الآيات القرآنية أو ثبت في السّنة النبوية ممّا يكفي لبيان بطلان على المعتقد الذي ظهر على يد الفلاسفة وبقي هو السائد عندهم على مدى قرون عديدة حتى تبنّاه الملاحدة المعاصرون على اختلاف طبقاتهم وتنوّع ثقافتهم وتأثّر بهم بعض جهّال المسلمين ممّن ليس لهم تحصيل علمي متين ولا وازع ديني قوي<sup>(8)</sup>.

## المطلب الأول: أنواع الأزلية:

الأزلية تطلق على القدم، والأزلي هو ما لا ابتداء له<sup>(9)</sup>، ولا يصح أن يطلق على شيء من الموجودات بأنه أزلي وقديم لأنّ القدم من مما يوصف الخالق به سبحانه وتعالى دون غيره فهو الأوّل بمعنى القديم الأزلي<sup>(10)</sup>، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ (كان الله ولم يكن شيء غيره)<sup>(11)</sup> فإن لفظ كان الله هنا تفيد الأزلية وهي ما لا بداية له، أي لا بداية له سبحانه، وكذلك قوله: ولم يكن شيء غيره، معناه نفي الأزلية عمّا سواه، أي لم يكن شيء غيره ككونه سبحانه، إذ كل مخلوق كان بعد أن لم يكن<sup>(12)</sup>.

وأهل الإلحاد يقولون بأن مادة هذا الكون أزلية ويصفون الزمان بأنه قديم كما يصفون الدّوات بأنها قديمة، وهناك فرق بين وصف الزمان بالقدم والحدوث وفرق بين وصف الدّوات بالقدم والحدوث، فالمراد بالقدم الزماني كون الشيء غير مسبوق بالعدم، وأما الحدوث الزماني فهو كون الشيء مسبوقا بعدم<sup>(13)</sup>، والمراد بالقدم الذاتي معناه كون الشيء غير محتاج إلى الغير، وأما الحدوث الذاتي فهو كون الشيء مفتقرا في وجوده إلى الغير<sup>(14)</sup>.

ذهب عامة الملاحدة ونظار الفلسفة من غير المسلمين بقديم الزمان والدّوات وبأزلية المادّة إنكارا لوجود الخالق سبحانه وتعالى، ولا شك أنّ القول بقديم هذه الأشياء قول مردود على صاحبه لمخالفته لصريح المنقول وصحيح المعقول، بينما ذهب أكثر الفلاسفة المتكلمين من المسلمين بأن الله سبحانه هو القديم وما سواه حادث، وقال بعضهم بأن أصل العالم قديم وجزئياته حادثة لكنهم لم يصرّحوا بإنكار الخالق سبحانه وتعالى لاحتياج العالم إليه.<sup>(15)</sup>

## المطلب الثاني: الأقوال في الأزلية:

نشأت أقوال أهل الإلحاد من الفلاسفة والتي تقرّر أزلية هذا الكون والمادّة وما ترتّب على ذلك من القول بإنكار الخالق تبارك وتعالى في الفلسفات القديمة، ومع ظهور الفلسفة المعاصرة في الغرب ظهرت أقوال تدّعي قدم الطبيعة وأنها هي الله سبحانه، ونجد في أقوال العديد من الفلاسفة المعاصرين الإعتراف بوجود الله وخلق له هذا الكون وإن اختلفت عبارات حول تعريفهم للإله، وعند مطالعة أقوالهم لا يمكننا أن ندخلهم في زمرة المنكرين للخالق مطلقاً مع قولهم بقدم الطبيعة وانحرافهم في ذلك.<sup>(16)</sup>

ولم يوجد في أقوال الفلاسفة الإسلاميين التصريح بإنكار الخالق فإن هذا القول لا يمكن أن يقوله من ينتسب للإسلام، ولا يعني ذلك عدم تأثر أولئك الفلاسفة الإسلاميين بغيرهم، فقد وجد عندهم أقوال مختلفة حول الأزلية، فهذا الفارابي وابن رشد يقولان بالصّنع أي أن الله تعالى خلق العالم من مادة أولية قديمة ليس لها خالق وأزليّ مع الله تعالى، وأن الزمان هو الآخر قدسّم أزليّ وكانا موجودين قبل وجود العالم<sup>(17)</sup>، بينما يقول ابن سينا بالخلق الأزليّ من لا شيء وليس في زمان<sup>(18)</sup>.

وهذا القول وإن قال به من قال من الفلاسفة الإسلاميين، وقد ردّ هذا القول أهل العلم ومنهم ابن تيمية الذي قال في رده على المتفلسفة: (أنتم ادّعيتم قدم العالم بناء على ما ذكرتموه من قدم الزمان ووجود دوام فاعلية الله تعالى ونحو ذلك مما غايتكم فيه إثبات دوام الحوادث إذ ليس في حججكم هذه وأمثالها ما يدلّ على قدم شيء من العالم لا السموات التي أخبر الله أنه خلقها والأرض وما بينهما في ستّة أيّام ولا غير ذلك، فيقولون لهم: الحوادث إما أن تكون لها بداية كما قلنا وإما أنه لا يجب ذلك كما قلتم فإن كان الأول بطل قولكم ولزم أن يكون للحوادث ابتداء فبطل قولكم بأن حركات الأفلاك أزليّة وهو المطلوب، وإن كان الثاني أمكن أن يكون حدوث الفلك حركاته موقوفاً على حوادث قبل ذلك كالحوادث اليوميّة وتلك الحوادث على حوادث أخرى وهذا مطابق لما أخبرت به الرسل من أن الله سبحانه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام وكان عرشه على الماء

ومطابق للأخبار المتضمنة أنها خلقها من الدخان والبخار الذي حصل من الماء وذلك كله أسباب حادثة ومطابق لما أخبر به الله من أنه خالق كل شيء وليس في حججكم ما يناقض هذا<sup>(19)</sup>، وقد كثرت ردود ابن تيمية على الفلاسفة القائلين بالقدم ووجد في كلام ابن تيمية في هذه الردود بعض الألفاظ المجملة مثل قدم النوع<sup>(20)</sup>، فهو ينكر قدم الأعيان ويقول يقدم الأنواع ومراده بذلك التعاقب والاستمرار سواء كان في أفعال الله سبحانه وصفاته ككلامه عز وجل، أو في مفعولات الله سبحانه من المخلوقات الكثيرة فإنه لم يزل خالقاً عز وجل، وأما عين الفعل أو المفعول فإنه مسبوق بعدم، فإنه يفرق بين شيئين، أنواع الحوادث أو أجناسها، وأعيانها أو أشخاصها، وأما النوع أو الجنس فقديم، وأما أعيان الحوادث وأشخاصها فحادثة<sup>(21)</sup>، وإن كان الأولى عدم التلغظ بهذه الألفاظ المجملة التي لم توجد عند السلف الصالح، وربما نعذر ابن تيمية لعلمنا بأن الحامل على قوله بذلك هو رد انحراف الفلاسفة<sup>(22)</sup>، فلا يصح أبداً وصف المادة بالأزل كما يزعم ذلك المتفلسفة، لأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وحده، فهو عز وجل الأول والآخر ذاتا وصفاتا وأفعالا.

### المطلب الثالث: الأدلة الشرعية لأزلية الخالق

إن كل مسلم يؤمن إيمانا راسخا أن الله تبارك وتعالى هو الخالق البارئ الذي برأ جميع المخلوقات من عدم وأن الله سبحانه هو الذي أحدثه وأبدع خلقه، فكل المخلوقات في السماوات والأرض حادثة مخلوقة بعد أن لم تكن، ولا يمكن أن يتصور في الخالق سبحانه وتعالى نقص بأي وجه من الوجوه بأن يوصف بأنه وحدث تعالى الله عن ذلك، وهو سبحانه وتعالى الأول الذي لا شيء قبله والآخر الذي لا شيء بعده قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد: 3)<sup>(23)</sup>، فمن أسماء الله سبحانه وتعالى الأول فهو سبحانه موصوف بالأولية المقتضية لأزليته بأنه لم يكن قبله شيء مطلقا كما بين ذلك رسول الله ﷺ بقوله: (اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ)<sup>(24)</sup>، وأزلية الخالق من المسائل التي يقررها أهل السنة والجماعة في عقائدهم وهو المراد بقول الطحاوي في عقيدته المشهورة: قديم بلا ابتداء، يقول ابن أبي العز:

(فقول الشيخ قدس بلا ابتداء دائم بلا انتهاء هو معنى اسمه الأوّل والآخر)<sup>(25)</sup>، فالله سبحانه وتعالى هو واجب الوجود الأزليّ وهو الخالق لهذه الحوادث من جميع المخلوقات من عدم، وهذا عدم دليل على امتناع أزليّة تلك المخلوقات المحدثّة.

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن أزليّة الله سبحانه وتعالى لما سُئل عن بداية هذا الأمر، فعن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: (اقبلوا البشري يا بني تميم)، قالوا بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال النبي ﷺ: (اقبلوا البشري يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم)، قالوا: قبلنا جئناك لتنفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال ﷺ: (كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء)<sup>(26)</sup>، ومصادق هذا الحديث في كتاب الله عز وجلّ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: 7)<sup>(27)</sup>، فلا يقبل أبداً بأن يوصف بالحدوث لأن في ذلك تمثيلاً له بالمخلوقات الناقصة العاجزة المحتاجة لغيرها والمحكوم عليه بالفناء والهلاك.

#### المطلب الرابع: الأدلة الشرعية لخلق جميع الكائنات.

من المسلّمات العقديّة الإقرار بوجود خالق لهذا الكون قيّم عليه مدبر له، والله سبحانه هو قيوّم السماوات والأرض الذي لا يمكن الاستغناء عنه طرفة عين وإلا لفسد نظام هذا الكون يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّكَ الْأَرْضَ وَالْأَرْضُ أَنْ تَزُولًا وَلَئِنْ زَالَتْ إِذْنًا أَمْسَكَكُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (فاطر: 41)<sup>(28)</sup>.

ولقد تضافرت الأدلة الكثيرة من القرآن والسنة التي تقرّر بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وحده لهذا الكون وأن ما سواه مخلوق، وإذا وقف المسلم على الأدلة الكثيرة الدالة على هذه الحقيقة علم يقيناً بطلان ما يدندن حوله أهل الإلحاد اليوم بنشر أقوال الفلاسفة الرّاعمين قدم هذا العالم ومحاوله نشرها بين جهّال المسلمين وما ينتج عن هذه المقالات من تعطيل الخالق سبحانه وتعالى عن كماله الواجب له بأنه ربّ العالمين وخالقهم، ومن تلك الآيات التي أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه الخالق وحده لكل شيء مثل قوله تعالى:



﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: 62)، فالآية تدلّ على أن جميع الأشياء غير الله مخلوقة، ففيها ردّ على كلّ من قال بتقديم بعض المخلوقات.

فكلّ العوالم المتنوّعة مثل عالم الإنس أو الجن أو الملائكة أو عالم الطيور أو عالم البحار وما فيها من الكائنات المختلفة التي نعرفها والتي لا نعرفها فإن الله سبحانه خالقها، ولا يمكن أن تكون وجدت بالصدفة أو يُنسب خلقها لقوى الطبيعة كما يروج لذلك أتباع المذهب الإلحادي، ومن يقرأ القرآن يقف على آيات كثيرة يثني الله بها وهو أهل الثناء والحمد بخلقه للكائنات وتقديره لها، ولا يخرج عن ذلك أيّ مخلوق مهما كبر أو صغر، ومن الآيات التي بيّن فيها سبحانه خلقه للكائنات عموماً قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝۱ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝۲﴾ (الفرقان: 1-2)<sup>(29)</sup>.

وقد فصل الله عزّ وجلّ في ذكر خلقه للكائنات المتنوّعة في آيات عديدة منها ما ذكره سبحانه في أوائل سورة النحل بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝۱ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝۲﴾ (النحل: 4-5)، وبعد أن ذكر الله سبحانه خلقه للعديد من المخلوقات استدللّ بذلك على بطلان ما سواه من المعبودات فقال تعالى محتجاً على المشركين بها: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ (النحل: 17)<sup>(30)</sup>. فكما أنه لا شريك له في خلق الكائنات فلا شريك يستحق أن تصرف له العبادات.

## المطلب الخامس: الأدلة الشرعية لخلق الكون.

في القرآن الكريم آيات كثيرة يأمر الله سبحانه عباده بالنظر والتفكير في بدء خلق هذا الكون بداية مما يبطل ادعاء الملاحدة القائلين بأزليّة الكون والمادّة التي فيه، ومن الآيات التي أنزلها الله سبحانه في كتابه مبيناً بدأ الخلق مستندلاً بذلك على البعث قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ (19-20) <sup>(31)</sup>، وقد أخبرنا الله سبحانه في آيات عديدة على جهة الإجمال بأنّه خلق الكون في ستّة أيّام ومن تلك الآيات قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ۝﴾ (السجدة:4)، كما أخبرنا عزّ وجلّ في آيات أخرى على جهة التفصيل لكيفيّة خلق هذا الكون ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ۝﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأُتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝﴾ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝﴾ (فصلت: 9-12). <sup>(32)</sup>

والآيات التي جاءت في كتاب الله تعالى المبينة لكيفيّة خلق الله سبحانه وخلقه لهذا الكون وما فيه من كائنات كثيرة جداً، من أوضحها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ (الأعراف:54)، يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (فيعلم من هذا أنّ اليوم الأوّل من أيّام خلق الأرض هو الزّمن الذي كانت فيه كالدّخان حين فتقت من رتق المادّة العامّة التي خلق منها كلّ شيء مباشرة أو غير مباشرة، وأنّ اليوم الثّاني هو الزّمن الذي كانت فيه مائيّة بعد أن كانت بخاريّة أو دخانيّة، وأنّ اليوم الثّالث هو الزّمن الذي تكوّنت فيه اليابسة وتناث منها الرّواسي فتماسكت بها، وأنّ اليوم الرّابع هو الزّمن الذي ظهرت فيه أجناس الأحياء من الماء وهي النّبات والحيوان، فهذه أزمنة لأطوار من الخلق قد تكون متداخلة، وأمّا السّماء العامّة وهي

العالم العلوي بالنسبة إلى أهل الأرض فقد سوى أجرامها من مادّتها الدّخانية في يومين أي زمنين كالزّمنين اللّذين خلق فيهما جرم الأرض<sup>(33)</sup>، والشيخ محمد رشيد رضا من العلماء المعاصرين وفي ثنايا تفسيره بيان لكثير من الأدلّة الشرّعية الموافقة للعلم الحديث والتي تنفي القول بأزليّة هذا الكون.

### المطلب السادس: الأدلة الشرعية الموافقة للعلم الحديث.

عادة ما يتمّ التّركيز على النّظريات العلميّة الحديثة التي تبين كيفيّة بداية خلق الكائنات في معرض الرّدّ على الملاحدة القائلين بأزليّة الكون، لكن للأسف لا ربما لا ندرك أن أكثر تلك النّظريات الصّحيحة في العلوم المعاصرة جاءت الإشارة إليها في النّصوص الشرّعية، فالعلم الحديث بفروعه الكثيرة يثبت بشكل قاطع خلق هذا الكون وما فيه من كائنات وعدم صحّة القول بأزليّته، يقول جون كليفلاند رئيس قسم العلوم الطبيعيّة بجامعة دولث: (وتدلّنا الكيمياء على أنّ بعض المواد في سبيل الزّوال أو الفناء، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة، وعلى ذلك فإنّ المادّة ليست أبدية ويعنى ذلك أيضا أنّها ليست أزليّة إذ أنّ لها بداية)<sup>(34)</sup>، وقد تطابقت أقوال العلماء المنصفين في هذا العصر بالقول بعدم أزليّة هذا الكون مبطلين بذلك مزاعم الملحدّين، ومع اتّفاقهم على هذه الحقيقة إلّا أنّهم اختلفوا في تحديد كيفيّة الخلق، ونتج عن ذلك العديد من النّظريات العلميّة<sup>(35)</sup>، ومن أشهر تلك النّظريات نظريّة الانفجار الكبير القائلة بأنّ بداية هذا الكون كان نتيجة انفجار عظيم جدا تشكّلت بعده السّماوات وما فيها من مجرّات وكواكب ونجوم مختلفة، وقد جاء في الأدلّة الشرّعية ما يشير لنظريّة الانفجار الكبير في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: 30)<sup>(36)</sup>.

كما ورد في الأدلّة الشرّعية ما يشير لنظريّة السّديم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: 54)،

يقول محمد رشيد رضا: (هذا التفصيل التي يؤخذ من مجموع الآيات يتفق مع المختار عند علماء الكون في هذا العصر من أنّ المادّة التي خلقت منها هذه الأجرام السماوية وهذه الأرض كانت كالدخان، ويسمونها السديم)<sup>(37)</sup>، يتّضح لنا من خلال كلام المفسرين المعاصرين وما ثبت من النظريات العلميّة المتنوّعة عن بدء نشأة هذه الكائنات وما جاء في التّصوص الشرعيّة من الإشارة إليها أنّ المزايم التي يروّجها أتباع المذهب الإلحادي على اختلاف توجّهاهم بأنّ هذا الكون أزليّ لا يعرف له بداية مزاعم باطلة يردّها الشرع ويكذبها العلم الحديث<sup>(38)</sup>.

### المطلب السابع: الأدلة الشرعية الموافقة للعقل السليم.

مما يلاحظ أن كثيرا ممّن يتبنّى المذهب الإلحادي المنكر لوجود الخالق والزّاعم أزليّة هذا الكون ينسب نفسه إلى العلماء والمفكرين مع مخالفته لأمر بديهيّ مستقرّ عند جميع ذوي العقول بأنه لا يمكن وجود حادث بلا محدث ولا مصنوع بلا صانع ولا مخلوق بلا خالق، فجميع العقول تقرّ بهذه الحقيقة العقليّة الحتميّة، ولذلك فلا يصحّ انتساب هؤلاء الملاحدة إلى العقلاء فضلا عن نسبتهم للعلماء، بل إن الأولى أن ينسبوا إلى المجانين وأهل البلادة، وإنّ الناظر في هذا الكون بعين البصيرة ليدرك ضرورة وجود خالق له مدبّر لجميع شؤونه لأنّه كون حادث بعد العدم ولا يمكن أن يكون أزليّا أبدا، ولا بد أن يكون له محدث وهو الخالق تبارك وتعالى؛ يقول شحاتة صقر: " فالعدم لا يفعل شيئا وهذا أمر متّفق عليه بين الناس جميعا ولا يخالفه إلا مكابر جاحد، فلا يمكن لأيّ عاقل أن السّاعة التي بيدك قد أوجدها العدم أنه لا صانع لها، وهذه قاعدة مشتركة بين جميع العقلاء "<sup>(39)</sup>، ومن أكثر البراهين العلميّة المنطقيّة دلالة على وجود إله خالق للكون ما يعرف ببرهان الإيجاد أو برهان الخلق، ويتكوّن هذا البرهان من مقدّمتين واستنتاج، كل موجود له بداية لابد من مصدر سابق عليه موجد، الكون له بداية، إذا الكون له مصدر سابق عليه موجد، وإذا كان هذا البرهان على وجود الإله الخالق قد بدأ كبرهان عقليّ فإنّ العلم الحديث قد أضاف إليه من الأدلّة العلميّة أثبتت أن للكون بداية<sup>(40)</sup>.

ومن الأدلة الشرعية التي جاءت بهذه الضرورات العقلية قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: 35)، فالآية تظهر بجلاء ضرورة وجود الخالق وأن ما سواه مخلوق، لأن العقول لا تقبل أن يوجد مصنوع من عدم فهذه هي الحقيقة العقلية الأولى التي دلت عليها الآية بقوله: "أم خلقوا بغير شيء"، كما أن العقول اتقبل كذلك أن يكون المصنوع هو الذي صنع نفسه وهذه هي الحقيقة العقلية الثانية التي دلت عليها الآية بقوله: "أم هم الخالقون"، ونتج عن ذلك ضرورة عقلية حتمية وهي أن كل هذه الكائنات مخلوقة والله عز وجل خالقها. (41)

ومن الحقائق العقلية التي تبطل قول الملاحدة أن الكون وجد منذ الأزل عن طريق المصادفة، ما نراه من نظام بديع في تسيير شؤون الكون وما فيه من كائنات، فلا يمكن عقلا أن لا يكون هناك مدبر لهذا النظام وهو الخالق سبحانه، فانتظام الكون إنما هو بسبب وجود خالق حكيم وقدير عليم أصلح نظامه وأحكم اتقانه، لا يمكن أن يكون معه إله آخر وإلا لفسد النظام الكوني كله بسبب التنازع بين الآلهة المتعددة، وقد ورد في النصوص ما يشير إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (المؤمنون: 91) (42).

فسبحان من أبان في كتابه في أساليب متنوعة هذه الحقائق العقلية التي يقرّ بها جميع العقلاء، وعجبا ممن ينسب للعلم والثقافة من أهل الإلحاد والفساد كيف لهم أن يعارضوا مثل هذه الحقائق ويرجون أن هذا الكون أزليّ قد وجد بالمصادفة أم ينسبون خلق الكائنات إلى قوى الطبيعة أو إلى أي شيء آخر غير الباري سبحانه وتعالى.

## الخاتمة:

أهم النتائج والتوصيات:

### أولاً: النتائج:

- (1) أن المذهب الإلحادي مذهب قديم يقول على أساس إنكار الخالق زاعماً أن هذا الكون أزليّ وجد بالمصادفة.
- (2) كفاية الأدلة الشرعية في إبطال مذهب الملاحدة والتي تغني عن كثير من الأدلة التي ربما يعتريها نقص أو عدم وضوح.
- (3) تأثّر بعض المسلمين بالدعايات الإلحادية في هذا العصر نظراً لكثرة وسائل التواصل ووجودها بين المسلمين على اختلاف أعمارهم.
- (4) أن من أسماء الله سبحانه وتعالى المتضمنة لكماله اسم الأوّل وصفة الأوليّة بأن الله لم يكن شيء قبله.
- (5) أن الكثير من النظريات العملية والحقائق العقلية التي تردّ على الملحدين جاء في القرآن أو السنة ما يوافقها.

### ثانياً: التوصيات:

- (1) العناية بدراسة أدلة الكتاب والسنة وحث الشباب على تعلمها والثقة فيها.
- (2) ضرورة مواجهة المذاهب الهدامة في مقدمتها الإلحاد وإبطال مزاعمها.
- (3) الحرص على البحث في النصوص الشرعية التي من خلالها يُردّ على الملحدين.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط.3، 1416هـ - 1996م.
- (2) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، طريق المحترفين، القاهرة، دار السلفية، ط2، 1394هـ.
- (3) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مختصر الصواعق، القاهرة: دار الحديث، 1422هـ - 2001م.
- (4) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ - 1995.
- (5) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الصغدية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة بن تيمية، ط.2، 1406هـ.
- (6) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الإسلامية، 1391.
- (7) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الفصل في الملل والنحل، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.
- (8) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، مراتب الإجماع، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.
- (9) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ.
- (10) ابن عطية، عبد الحق بن أبي بكر، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.
- (11) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- (12) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.2، 1420هـ - 1999م.
- (13) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ.
- (14) إدريس، جعفر شيخ، الفيزياء ووجود الخالق، الرياض، مركز البيان للبحوث والدراسات، 1422هـ - 2001م.
- (15) الآلوسي، أبو الثناء محمود شهاب الدين، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.
- (16) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، عناية: د. محمد زهير الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، 1422هـ.

- (17) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، معالم التنزيل، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.4، 1417هـ - 1997م.
- (18) الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط.4، 1420هـ.
- (19) الحنفي، ابن أبي العز، شرح الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1426هـ - 2005م.
- (20) الدمرداش، صبري، للكون إله، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط.2، 1427هـ - 2006م.
- (21) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990هـ.
- (22) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م.
- (23) شريف، عمرو، خرافة الإلحاد، ط1، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 1435هـ - 2014م.
- (24) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م.
- (25) شيخاني، محمد، الله يتحدى الملحدين، دمشق، دار قتيبة، 1421هـ - 2001م.
- (26) صقر، شحاتة، أوهام الملحدين، الإسكندرية، دار الخلفاء الراشدين.
- (27) عامري، سامي، براهين وجود الله، الرياض: مركز تكوين، 1440هـ-2018م.
- (28) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.
- (29) قديح، مصطفى، الصنع المتقن، ط1، القاهرة، مركز دلائل، 1438هـ.
- (30) القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن قُرج، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط.2، 1384هـ - 1964م.
- (31) مونسيما، جون كلوفر، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، بيروت، دار القلم، 1958م.
- (32) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1374هـ.



- (33) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوجيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار القلم، بيروت: الدار الشامية، 1415هـ.
- (34) ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد، تهافت التهافت، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعرفة، ط.2، 1964-1965م.
- (35) بدوي، عبد الرحمن، الزمان الوجودي، دار الثقافة، ط.3، 1973م.
- (36) السماري، منصور، شرح الصدر، دار العاصمة، 1416هـ -1995م.
- (37) الآلوسي، حسام، مشكلة الخلق في الفكر الإسلامي، مكتبة المنصور، 2017م.
- (38) المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف، تحقيق: محمد الداية، دار الفكر المعاصر، 1410هـ.
- (39) هراس، محمد خليل، ابن تيمية السلفي، المكتبة اليوسفية، 1372هـ -1952م.
- (40) الكواري، كاملة، قدم العالم بين ابن تيمية والفلاسفة، دار أسامة، 2001م.

(1) أنظر مراتب الإجماع، ابن حزم، ص:167.

(2) أنظر معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 236/5.

(3) أنظر لسان العرب، ابن منظور، 14/11.

(4) أنظر الموسوعة الميسرة، مانع الجهني، 330/1.

(5) أنظر الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، 15/1.

(6) أنظر عمرو شريف، خرافة الإلحاد، ص:28-30.

(7) أنظر الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، ص:37.

(8) أنظر مصطفى قديح، الصنع المتقن، ص:20-28.

(9) أنظر الجرجاني، التعريفات، ص:221.

(10) أنظر مفهوم القدم عند علماء الكلام وعلاقته بمشكلة الزمان، رضائي حسين، مجلة الحكمة، ع.8، ص:148.

(11) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، رقم:7418.

(12) أنظر شرح الصدر عن أول الأمر، السماري ص:15.

(13) أنظر الكليات، الكفوي، ص:727.

(14) أنظر التوقيف، المناوي، 576/1.

(15) أنظر الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، ص:72.

(16) أنظر الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولنر، ترجمة: فؤاد كامل.

(17) أنظر تهافت التهافت، ابن رشد، ص:100.

(18) أنظر مشكلة الخلق في الفكر الإسلامي، حسام الآلوسي، ص:46، وص:71، وص:99.

- (19) بن تيمية، درء التعارض، (78/5).
- (20) أنظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (537/5).
- (21) أنظر ابن تيمية السلفي، محمد خليل هراس، ص: 175.
- (22) أنظر، قدم العالم بين ابن تيمية والفلاسفة، الكواري، ص: 184.
- (23) أنظر المحرر الوجيز، ابن عطية، 232/5.
- (24) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: 2713.
- (25) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، 111/1.
- (26) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، رقم: 7418.
- (27) أنظر جامع البيان، الطبري، 245/15، انظر فتح الباري، 473-472/9.
- (28) أنظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 71/12.
- (29) أنظر الروح، لبن القيم، 146/1.
- (30) أنظر تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 437/1.
- (31) أنظر معالم التنزيل، البغوي، 237/6.
- (32) أنظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 165/7.
- (33) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 394/8.
- (34) الله يتجلى في عصر العلم، ص: 31.
- (35) أنظر: الله يتحدى الملحدين، محمد شيخاني، ص: 24.
- (36) أنظر أضواء البيان، الشنقيطي، 141-140/4.
- (37) تفسير المنار، 394/8.
- (38) أنظر: براهين وجود الله، ص: 385-399.
- (39) أنظر أوهام الملحدين، شحاتة صقر، ص: 33، وانظر للكون إله، الدمرداش، ص: 653-654.
- (40) أنظر خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص: 113.
- (41) أنظر تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 816/1.
- (42) أنظر مختصر الصواعق، ابن القيم، ص: 83-84.